الاتجاه التّربوي فـــي الحـــوار القرآني والســـنة النبوية

د. فـــرج مســـعود النّعمي - كلية الآداب ـ جامعة طرابلس .

الملخّـــص :

يؤكّـــد المهتمـــون بفلســـفة التربية والتعليم ، بأن الحـــوار والجدل هما من أهم الأدوات التي تُسهم في إثـــراء عملية التواصل والتفاعل بين مكونات المجتمع ، في مختلف الأصعدة الفكرية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، منذ أن خلق الله سيدنا أدم – عليه السلام- إلى يوماً هذا ، وهـــو حاجة أساســـية فرضته معطيات الحـــياة العامّة فـــي المجتمعات المعاصرة ، لما له من أثـــر في تنمية وتطوير القدرات البشرية على التفكير المشترك والتحليل والاستدلال ، والاستنباط ؛ ولأنه السبيل الأمثل للرقي والتقدم بالمســـتوى الأخلاقي بالمجتمع ، ومن المؤشرات التي تدل على التفاعل الإيجابي بين مكوناته ، والدليل على تقدمه ، وهو ضد الاختلاف والفرقة ، ومن أهم الأدوات الفكرية التي تسهم في تحريـــر العقول من العزلة والانغلاق والانطواء ، والتي في غالبا الأحيان ما تـــؤدي إلى الجمود والغلو والأمراض النفسية والعقلية التي تخلّف كثيرا من الأضـــرار على المجتمع .

وبهذا يتناول هـــذا البحث مفهومي الحوار والجدل بالتَّعريف في اللغة والاصطلاح، ومن ثمَّ يستعرض المفهومين في كلٍّ من القـــرآن الكريم والسُّنَّة النَّبوية. ومن هذا السياق ، يقدِّم البحث نماذج للجدل والحوار من منظور القرآن والسُّنَّة. ومن جهةٍ ثانية ، يقدِّم البحث قواعد عامة ينبغي الالتزام بها في كلٍّ من قضيتي الجدل والحوار من منظور القرآن والسُّنَّة النَّبويَّة ، ويخصِّص مبحثاً للحوار والشَّباب ، ويستعرض - أيضا - بعض الخصائص لمرحلة الشَّباب ويركِّـــز تحديداً على الخصائص الانفعالية والعقلية، ويبيِّن مكانة القدوة الصَّالحة في إطار موضوع الحوار والجدل بالنسبة للشَّباب، فضلاً عن إبراز دور الأسرة التَّوجيهي والإرشادي.

Abstract

Those interested in the philosophy of education affirm that dialogue and debate are among the most important tools that contribute to enriching the process of communication and interaction between the components of society, on the various intellectual, cultural, social, economic and political levels, since God created our master Adam - peace be upon him until this day. It is a basic need imposed by the data of public life in contemporary societies.

Because of its impact on the development and development of human capacities for joint thinking, analysis and inference, deduction. And because it is the best way to advance the moral level of society, and it is one of the indicators that indicate the

positive interaction between its components, and the evidence of its progress. It is against difference and division. It is one of the most important intellectual tools that contribute to liberating minds from isolation, isolation, and introversion, which often lead to stagnation, extremism, and psychological and mental illnesses that cause a lot of damage to society.
This research deals with both the concept of dialogue and debate by definition, in the language and terminology, it then reviews the concepts in both the Holy Quran and the Sunnah. This research devoted a part dealt with the dialogue and young people, in this context; the research reviews some of the characteristics of the stage of youth, specifically emotional and mental characteristics. It shows the status of the good example in this regard for young people. As well as highlighting the guiding role of the family.

المقدمـــــــــــــة

بســـــــــط العلماء تعريفات دقيقة حـــول الألفاظ الفقهية, والمصطلحات الأصولية وما يرد في البيان القرآني , والحديث النبوي, وبينوا دلالة هذه الألفاظ في كل سياق, وأوضحوا الفـــروق اللغوية فيما بينها , ويعنينا في هـــذا المقام بعض المصطلحات المتعلقة بهذا البحث وهي : الحوار والجدل.

المبحث الأول ـ الحوار في اللغة وفي الاصطـــــلاح :

الحـــــوار في اللغـــــة : " الرجـــــوع عن الشيء, وإلى الشيء, يقال : صـــــار إلى شـــــيء ، وعنه حـــوراً ومحاوراً ومحاورة : رجع عنه وإليه , وفي الحديث : **من دعا رجلاً بالكفر وليس كذلك صار عليه)** [1]، أي : رجـــع إليه ما نسب إليه , والمحاورة مراجعة المنطـــق, والكـــلام في المخاطبة " [2] قال- تعالـــــى - : { **قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَـــــاوِرُهُ** }.[3] ، أي : وهو يراجعه الكلام ويجادلـــه.، وهو ضد الاختلاف ويعمل على تقريب وجهات النظر لقوله - تعالى:- **(وَلَا يَزَالُـــونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)** [4]، هذا الاختلاف يحكمه الحوار؛ للوصول إلى أقرب نقطة يلتقي فيها المتحاوران ويتفقان فيها على أزاله الاختلاف بينهم.

الحـــــوار في الاصطلاح : " التحاور: الجاذب, لذلك كان لا مندوحة في الحوار من المتكلم والمخاطب, ولا بد فيه من مراجعة الكلام وبتبادله وتداوله؛ لأن غاية الحوار: توليـــد الأفكار الجديدة في ذهـــن المتكلم , لا الاقتصار على عرض الأفكار القديمة, وفي هذا التجاوب توضيح للمعنى , وإغناء للمفاهيـــم يفيضان إلى تقـــدم الفكر" [5]

و الحوار في الأصل يقوم على المناقشة بين طرفين - أو أطراف - بقصد تصحيح الكلام ، وإظهار حجة وإثبات حق، ودفع شبهة وردّ الفاسد من القول والرأي[6]، و من هذا التعريف يمثل الجانب العملي والعلمي للحوار .

والحوار ليس قصراً على الكلمات اللسانية المسموعة , وإنما قد تتجاوز إلى الإشارة الموضحة, والبسمة المشرقة , والحس الخافق, والعمل الصالح , والموقف الصالح, حتى الصمت لا يبعد أحياناً أن يأتي حواراً.

ويطلق لفظ الحوار غالباً على الجدل الذي يكون بين أهل الدّين الواحد , الذين يختلفون في بعض المسائل الدينية , أو بسبب بعض الشبهات , أو فيما يخص قضايا الأمة بشكل عام , فيتحاورون للوصول إلى ما يريدونه صواباً.

ثانياً ــ الجدل في اللغة والاصطلاح:

الجدل في اللغـــــــة: " اللُّددُ في الخصومة والقدرة عليها"[7] ، وهو عادة فطرية عند الإنسان لقوله - تعالى- : { **وَكَانَ الإِنْسَـــــانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً** } [8] ، وهو من اللدد في الخصومة والقدرة عليها ، يقال : جادله مجادلة وجدالاً ، أي : خاصمه ، الجدل شدة الخصومة ، ومقابلة الحجة بالحجة ، ومنه المجادلة و المناظرة [9].

أما الجدال في الاصطـــــــلاح : " فهو المفاوضـــة على سبيل المنازعة والمغالبة ، وقيل :الأصل في، الجدال الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجَدالة ، وهـــي الأرض الصلبة[10]، والجدل " هـــــو مقابلة الأدلة لظهور أرجحها, وهو محمود إن كان للوقوف على الحق , وضوح الصواب, وإلا فمذمـوم [11] ، ويقول الـــرازي : " الجدل المذموم محمول على الجدل في تقرير الباطل , وطلب المال والجاه, والجدل الممدوح محمول على الجدل في تقرير الحق, ودعوة الخلق إلى سـبيل الله, والذب عن دين الله – تعالى- "[12]. ، قال أفلاطـــــــــون: "الجـــــدل أصلاً هو في الحوار والمناقشة , والجدلي هو الذي يحسن السؤال والجواب, وغايته الارتقاء من تصور إلى تصور, ومن قول إلى قول, للوصول إلى أعم التصورات, وأعلى المبادئ."، واقتبس المحدثون عن أفلاطـــــــون فأطلقوا الجدل عن الارتقاء من المدركات الحسية إلى المعاني العقلية , ومن المعاني الشخصية إلى الحقائق المجردة , ومن الأمور الجزئية إلى الأمور الكلية ، وحدد الجرجاني تعريف الجدل في تعريف أصـــولياً يشـــبه : " بالقياس المؤلف في المشهودات والمسلمات, والغرض منه إلزام الخصم وإفحام من هو

قاص عن إدراك مقدمات البرهان, وبه يتم دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة, ويقصد به تصحيح كلامه [13] .

مقابلة الحـــــوار بالجـــــدل : فالظاهـــر من التعريفات السابقة أن الحـــوار أعـــمّ من الجدل ؛ لأنه أسلوب من أساليب الحـــوار ، يقوم علـى المنازعـــة والمغالبة ، لأجل العلـــو في الصراع الفكري أو المادي ، لهذا قال بذلك أفلاطـــون وســـقراط : أن العلـــو لا يُعلَّم , ولا يدوَّن في الكتب , بل يكشف بطريق الحوار [13]، ومنه ما هو هـــادف يرتقي بالحوار ويؤدي إلى الإصلاح ، ومنه ما هو مذموم يهدم العلاقات الاجتماعية ، وهنا نجد أن الجدل غالباً على ما يكون هو المحرك الأساسي في الصراع الفـكري والعقدي بين أصحاب الأديان المختلفة , الذين يتناظـــرون بينهم في العقيدة , وفي أو في صحة هذا الدّين أو ذاك , وإن كانـــوا أهل كتاب, أما إن كانوا مشركين أو منكرين فالغالب أن يكون الجدل حول أصل الدين, وعقيدة البعث والجزاء, وأركان الإيمان... الخ.ومن هنا يظهر أن الجدل يعود في أصله إلى الحوار ، ويرى أهل الفلسفة : أنه يستمد اسمه من (الفعل اليوناني) (يحاور)، ويطلق عليه (فن الحـــوار)أو (النقاش) أو (الجدال) [14]

لكن الحقيقة أن الجدل بدأ مع بداية الخليقة , فنجد نوع من الجدل قام عند (آدم) في قوله- تعالى - : { **وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ** } إلى قوله - تعالى- : { **لَأَمْـــلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ** } [15] ، ويستخدم إبليس في رده اللغو للجـــاج , ويكشف عن حقده أو كراهيته لبني آدم, وحبه لفتنة, واتخاذه طريق الشر للغواية, وميله للهوى والشهوات , وإصراره على الضلال والإضلال.

لقد عـــرض القرآن الكريم صفة عامة للمذاهب القديمة والحديثة , وشرح أول المجادلين بغير علم ولا هدى , وأظهر تهافتهم , صدق الله ؛ إذ يقـــول : { **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا** } [16] .

المبحث الثاني ـــ الحوار في القرآن الكريم والسنة النبوية :

القصـــد من هذا أن نبين طريق القـــرآن والسنة النبوية في توجيه العقول والمدارك لفهم أعمق الحقائق بأيسر سبيل, وأقوم طريق، ومن المسلم به لو صدق الإنسان مع نفسه وعـــرف حقيقتها لما دافع عن الباطل , لظل ينشد الحقيقة في الدنيا كما سيراها في

الآخرة، فالإنسان يدافع عن نفسه في أغلب الأحوال ـ ظالماً كان أم مظلوماً ـ محقاً كان أم مبطلاً, ويحاول أن ينصر نفسه , وأن يظهر أمام الآخرين دائماً أنه صاحب الحق, ويقنع غيره بصورته المتكاملة الخالية من العيوب والنقائص والضعف الشديد ، والإنسان خلق ناقصاً ضعيفاً , قال – تعالى - : { **وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفاً** } [17]. إلا أنه يحب أن يظهر أمـــام غيره قوياً متكاملاً, حتى ولو أضطر إلى الكذب والرياء, والادعاء الباطل، فالذين يدافعون عن الباطل ، ويزيفــون الحقيقة ؛ إنما هم يهدمون القيم الكبرى, ويضيّعون على الناس التمســك بأهداف الفضيلة , وهذا بــدوره يؤدّي إلى الظلم العظيم في هذا العالم , قال - تعالى- : { **وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ الْحَقّ**... الآية } [18]. ، وقوله- تعالى - : { **وَيُجَادِلُ الّذِينَ كَفَرُواْ بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ الْحَقّ...** } [19]، ذم الله – تعالى- الجدال بغير حجة والجدال في الباطل , وأن المحق هو الملقن حجة على الحقيقة , وهم أهل الباطل , قال - تعالى - : { **الّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيَ آيَاتِ اللّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللّهِ وَعِندَ الّذِينَ آمَنُواْ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَىَ كُلّ قَلْبِ مُتَكَبّرٍ جَبّارٍ** }[19]، وقد جمعت آيات الجدال المحمود الذي يجب إتباعه , والجدال المذموم الذي يجب تركه وعدم إتباعه، وفيما يلي بيان موجز لنماذج من الحوار والجدل في القرآن والسنة النبوية:

أولاً ـ الحوار في القرآن الكريم : لقد تنوع أساليب الحـــوار فـــي القـــرآن وجاءت في العديد من الآيات و الســـور نذكر منها : قال – تعالى - : { **وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّـــاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأَجِـــدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُـــلاً** } [20]. وقوله - تعالى - : { **وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَـــقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَـــةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّـــي أَحَدًا** } [21] ، وفي هذه الآيات قصة الرجلين والجنتين , وما دار بين الرجلين من الحوار, وترســـم نموذجين واضحين للنفس المعتزة بزينة الحياة , والنفس المعتزة بالله , وكلاهما نموذج إنساني لطائفة من الناس , وترشـــد الآيات عن البعد عن الغـــرر في الحوار, والتحذير من الإغـــراء بزينة الدنيـــا, قال - تعالى - : { **وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ** } [22].

الجـــدل في القـــرآن الكريم : وردت كلمة الجدل في القرآن لتحقيق عدة معاني, منها:

أ ـ **الجـــدل بعض طبيعة الإنسان :** قال ـ تعالى ـ : { **وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا** } [23]، ويعبّر الســـياق عن الإنســـان في هذا المقام بأنه : **(شـــــــيء)** ، وأنه أكثر شيء جدلاً, ذلك كي يقلل من كبرائه ومن غروره , ويشعر أنه خلق من مخلوقات الله الكثيرة , وأنه أكثر هذه الخلائق جدلاً.

ب ـ **الجدل بغير علـــم مـــراء ومغلطة** : قال ـ تعالى ـ : { **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ** } [24] ، والجدل في الله, سواء في وجود الله تعالى ـ, أو في وحدانيته , أو في قدرته , أو في علمه , أو في صفة من صفاته, الجدال في شيء من هذا في ظل الهول الذي ينتظر الناس جميعاً يوم القيامة, والذي لا نجاة منه إلا بتقوى الله وبرضاه. ذلك الجدل يبدو عجيباً من ذي عقل لا يتقي شر ذلك الهول, ولاسيما أنه جدال بغير علم , فهذا الصنف من الناس يجادل في الله بالهوى, قال – تعالى ـ : { **وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ** } مخالف للحق ومأواه جهنم وبئس المصير. إن أدب العبد مع ربه يلزمه أن يعرف حدوده فلا يتعداها أبداً , يعرف أنه عبد ضعيف والله هو القوي, وأنه ـ تعالى ـ الغني عن العالمين , والعبد هو المحتاج على الدوام, والفقير على الاستمرار.

ج ـ **الجـــدل بالباطل مهـــزوم أمام الحق** : قال – تعالى ـ : { **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** } [25] ، وهذا الجدال مذموم , أنه مناصر للباطل بتمويه, وبعد ظهور الحق إليه, وهؤلاء المذمومين هم الذين قال تعالى فيهم كما جاء في الآيات السالفة الذكر.

د ـ الجـــدل المنهي عنـــه : قال ـ تعالى ـ : { **الْحَـــجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُـــوقَ ولاَ جِـــدَالَ فِي الْحَـــجِّ** } [26]. والجدل المناقشـــة والمشادة حتى يغضب الرجل صاحبه , وهذا النهي القصد منه التجـــرد لله في هذه الفترة , والارتفاع على دواعي الأرض , والتأدب الواجب في بيته الحرام لمن قصد إليه متجرداً حتى مخيط الثياب.

هـ ـ أدب المجادلة المشروعـــة : الملاحـــظ أن الجدل في القـــرآن الكريم مذموم في كل موضع ذكـــر فيه إلا في ثلاث مواضع, وهي :

1 ـ قال ـ تعالى ـ : { **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ... الآية** } [27] ، وجاء في الجامع لأحكام القرآن : " هذه الآيـــة نزلت بمكة في وقت الأمـــر بمهادنة قريش , وأمره أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين,

دون مخشنة وتعنيف , وهكذا ينبغي أن يوعـــظ المسلمين إلى يوم القيامة " [28]، وفي تفسير الخـــازن : " ادع إلى دين ربك يا محمد , وهو دين الإسلام, بالحكمة : يعني : بالمقالة المحكمة الصحيحة , وهو الدليل الموضح للحق , المزيل للشبهة, والموعظة الحسنة، يعني : ادعهم إلى الله بالترغيب والترهيب, بحيث لا يخفى عليهم أنك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم,{ **وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**}[29] ....، [30] ، يعني : بالطريقة التي هي أحســـن طرق المجادلة, من الرفق واللين من غير فضفضة ولا تعنيف" [31]، قال ابن الجـــوزي في قوله - تعالى- : { **وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** } ، أقوال : **أحدهما**: جادلهم بالقرآن ، **الثاني**: بـ { **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** }رُوي القولان عن ابن عباس.

د ـ الجـــدل المنهـــي عنـــه : قال – تعالى- : { **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَـرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُـــوقَ ولاَ جِـــدَالَ فِي الْحَـــجِّ.**} [32] ، والجدل المناقشة والمشـــادة حتى يغضب الرجل صاحبه , وهذا النهي القصد منه التجـرد لله في هذه الفترة , والارتفاع على دواعي الأرض , والتأدب الواجب في بيته الحرام لمن قصد إليه متجرداً حتى مخيط الثياب.

هـ ـ جادلهم غير فـــظّ وألـــن لهم جانبك [33]، وقال ابن الحنبلي : فيحتمل أن يكون المرادُ بالأحســـن : الأظهر من الأدلة , ويحتمل بالتعبير عن الإتيان بمثل القرآن، لأنه أحسن الأدلة نظاماً وبياناً وأكملها حسناً وإحساناً وأرجحها من الثواب ميزاناً, وأوضحها على اختلاف مدلولاتها كشفاً وبرهاناً. ويحتمل الإصغاءُ إلى شُبههم والرفـق بهم في حلها ودحضها, ويحتمل بترك الغلظة عليهم في حال جدالهم لتكون الحجة عليهم أظهر, والجهد منهم أنكد وهي سنة الأنبياءِ عليهم السلام، مع الأمم عند الدعوة. والمجادلة" [34]، قوله - تعالى - : {**وَلاَ تُجَادِلُوَاْ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاّ بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاّ الّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ وَقُولُوَاْ آمَنّا بِالّذِيَ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـهُنَا وَإِلَـهُكُمْ وَاحِـــدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْـــلِمُونَ** } [35] إن دعـــوة الله التي حملها سيدنا نوح - عليه السلام - والرسل بعده حتى وصلت إلى خاتم النبيين محمد - صلى الله عليه وسلم - لهم دعـــوة واحدة من إله واحد, ذات هدف واحد , هو رد البشرية الضالة إلى ربها, وهدايتها إلى طريقه , وأن المؤمنين بكل رسالة إخـــوة للمؤمنين بسائر الرسالات كلهم أمة واحدة , تعبد إلهاً واحداً, وإن البشرية في جميع أجيالها لصنفان : صنف المؤمنين وهم حزب الله, وصنف الشاقين لله وهم حزب الشيطان , وكل جيل من أجيال المؤمنين هو حلقة تلك السلسلة الطويلة الممتدة على مدار القرون.

وفي هذه الآية أمـر بمجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسـن؛ لبيان حكمة مجيء الرسالة الجديدة , والكشف عما بينها وبين الرسالات قبلها من صلة, والإقناع بضـرورة الأخذ بالصورة الأخيرة من صورة دعـوة الله الموافقة لما قبلها من الدعوات , المكملة لها وفق حكمة الله وعلمه بحاجة البشر, لكن الله استثنى حالة الذين ظلموا من أهل الكتاب بإثبات الولد لله, والقول بالتثليث , وجاهروا في عداوتهم, فجادلوهم بالغلظة والشـدة من أجل تسفيه قولهم, وتبيين جهالتهم. قال – تعالـى- : { **لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّـوءِ مِنَ الْقَـوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً** } [36].

وقوله – تعالى- : { **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** } [37]. كان الظهار في الجاهلية وفي أول الإسلام طلاقاً تحـرّم به المرأة على زوجها تحريماً مؤبداً, واستمروا على هذا في صدر الإسلام حتى ظاهـر (أوس بن الصامت) زوجته (خولة بن ثعلبة) لكونه منكراً من القول وزوراً, وأوجب حكماً أخف من ذلك بكثير, وهو أن تحرم المرأة على زوجها, فلا يحل له قربها ولا الاستماع بها, إلا إذا كفّر عما صدر منه, تطبيقاً لقوله تعالى: {**فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَمَن لّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسّا فَمَن لّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتّينَ مِسْكِيناً...** } [38] لقد سمع الله ما دار من حـوار بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمرآة التي جاءت تجادل فيه, فأنزل الله فيه حكمه من فوق سبع سماوات, ليعطي هذه المرأة حقها, ويرسم للمسلمين الطريق في مثل هذه المشكلة العائلية اليومية. ويتبين مما تقدم, أن الله تعالى قدر رسم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أصولاً للجدل , وآداباً للمحاجة, يجب أن يتبعها في دعوته التي كلف بها, وإذ أمره أن يقيم دعوته على الحكمة والموعظة الحسنة الآخذة بالقلوب لحسنها, يجادل الخصوم لكن بالطريقة المثلى التي تضم الخصم إلى ساحته, وتقربه للمبادئ التي يدعو إليها. ثم حبب الله الصفح وبصره بمكانة الصبر, حيث قال - تعالى- : { **وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ** } [39]. ولم تقف آداب الجدل في القرآن الكريم , وعند الجدل بالتي هي أحسن فقط, إنما تجاوزت ذلك إلى أخلاقيات الجدل القرآني , وهو أن يكون الحق هو المستهدف, وليس الباطل, لهذا بين الله تعالى عقوبة للذين يجادلون في سبيل الباطل في قوله - تعالى - : { **وَجَادَلُـوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ الْحَقّ** }[40]، هذه هـي أصول الجدل وآداب المحاجة في هذا الدستور

السماوي, فجدير بكل من يتصدى للجدل أن يرتسم تلك الخطى التي ينادى بها ويحث عليها في الذود عن الحق, والدعوة إلى الصراط المستقيم, ويتخذها منهجاً لا يحيد عنه.

ثانياً ـ الحوار في السنة النبوية : وردت عدة أحاديث النبوية, كان الخطاب فيها متوجهاً نحو النهي عن المراء[41]. والتحذير من المجادلة من هذا النوع, لبُعدها عن منهج الحق, وهذا ما أمر به القرآن الكريم، وفيما يلي بعض الأحاديث في هذا الخصوص: قال - صلى الله عليه وسلم - " **إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَـــالِ إِلَى الله - عَزَّ وَجَلَّ - الْأَلَدُّ الْخِصَام**" [42] ، قال - تعالى - : { **وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً** } [43]. أي : أشداء في الخصومة ، وقال - صلى الله عليه وسلم- : (**إياكم والخصومة والجدال في الدين**)[44]، وهذا الحديث يبين وجه الجدال المذموم, والذي يحاج بعده ظهور الحق, وهذه صفة المعاند للحق, وهذا مذموم عند كل ذي عقل, ومنها قوله تعالى: { **وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ** } [45]. فيما ورد في الأثر " **إن الله ينهاكم عن قيل وقال**": أي: عن المجادلة بالباطل ليدحض به الحـــق , قال الفارســـي : وليس على النهي عن الخوض في العربية وتعلمها ؛ لأن الحض على النظـــر فيها قد كثرت الرواية به عن السلف" [46]

ويتضـــح مما سبق أن القرآن الكريم والسنة النبوية فيهما الحوار الإسلامي الداخلي , وفيهما كذلك مساحة كبيرة لمناقشة أهل الكتاب والمشركين والمنكرين فيما يعتقـدون أو يدعون في مجال العقيدة والشريعة, والأصل في الجدال أن يكون بهدف الوصول إلى الحق والصواب, لا أن يتحول إلى صناعة قد يقصدها الكثيرون لذاتها, والهجوم والدفاع في مجالات الصراع الفكري ليعطل قوة خصمه, لا ليوصله إلى الحقيقة, أو ليصل معه إلى قناعة، فالجدال العقلي الذي يأمر به الله لا بد أن يرتبط بالحقائق, ولا يمكن أن يحظى بها الفكر الذاتي بدون الاستعانة بالهوى الإلهي, وإلا وقـــع في المتشابهات, وانزلق بعقله إلى هوة الضلالات, لذلك يأمرنا الله تعالى بعدم المجادلة عن الخونة ولا ندافع عنهم, إذ هم خانوا أنفسهم باتباع غواية الشيطان, وموافقة هوى النفس, قال - تعالى- : { **وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ** } [47].

فالجدال القرآني يعتمد على التأمل العقلي, لكنه مرتبط بالإيمان بالله وبآياته البينات.

المبحث الثاني ـ قواعـــد عامة ينبغي الالتزام بها بالمجادلـــة:

لقد شجـــع القـــرآن الكريم على الحـــوار, وتبادل الرأي , من أجل التوضيح والوصول إلى معرفة الحقيقة، والقرآن الكريم عندما فتح باب الحوار والمناقشة والجدل

وصولاً إلى الإقناع في إيناس ورضاء, فكان بالأحرى أن يجعل المحاور قصده الحق وبغيته الصواب. لكي ينجح الحوار والجدل ويؤتي ثماره المرجوة لا بد أن تتوافر فيه العديد من القيم والشرائط التي تسوق المخاطب إلى بر الأمان.

وفيما يلي أهم عناصر نجاح الحوار القائم على الاعتدال :

أولا ـ الأدلة الواضـــــحة : على المحاور أن يقدم الأدلة الواضحة الكاشفة للحق المبينة له, وقد أكد النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا المبدأ بقوله: (**خاطبوا الناس على قدر عقولهم)**[48]. فعلى المحاور أن يخاطب الناس على قدر عقولهم لا على قدر عقله, وبما يدركون من مستويات فكرية, وبما يعجبهم من أساليب بيانية, بالوسائل الجذابة المشوقة, فلكل فئة من الناس خطاب يتلاءم مع نوع ثقافتهم ومستوياها, وأسلوب يتناسب مع نفوسهم.

ثانياً ـ من يتصدى للحـــوار: إن النظـــر والاستدلال شأن ذوي العقول الراجحة, وفيه تتفاوت دراجات العلماء. وإن خير الاستدلال هــو الاستدلال بكتاب الله وسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبيان أوجه التفاسير الصحيحة, ومعرفة السنن بدقة وفهم , ولقد وضح العلماء شرائط لمن يتصدى لتفسير القرآن الكريم وهي : التي أن يكون عالماً باللغة والنحو، والتصريف ، الاشتقاق ، والمعاني ، والبديع ، القراءات ، وأصول الدين ، والفقه ، وأساليب النزول والقصص ، والناسخ والمنسوخ، الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم، وعلم الموهبة, وهو علم يورثه الله لمن عمل بما علم. [49] ، وإن من يتصدى للبحث والجـــدل في أمور الدين والعقيدة ونحو ذلك لا بد أن يجمع هذه الشرائط , ويجمع معها بعض العلوم الدينية وما يستجد في كل عصر من أمور واكتشافات تكون عوناً له في إيضاح ما يريده في البرهنة على ما يدلي من دلائل علمية جلية, غايتها الوصول إلى الحق, وإقناع البشر بالخير والفائدة.

ثالثاً ـ الجدل التعليمي : أشار القرآن الكريم إلى هذا النوع من الجدل (الجدل التعليمي) مثل ما جاء في سورة الكهف من قوله- تعالى- : **(قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا)** إلى قوله – تعالى- : **(وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا)** [50] ، وهذا الجدل الذي قام بين العبد الصالح الخضر وموسى - عليهما السلام- , ولما ألهم موسى – عليه السلام - أن ذلك العبد الذي قابله قد أنعم الله عليه بعلم, وأتاه رحمة من عنده, وقف منه موقف التلميذ المتأدب رغم علو مقامه وعظم شأنه كنبي ورسول, ولم يجادل جدلاً عقيماً في أحقيته في هذا العلم الذي وهبه الله

للخضر- عليه السلام - , وإنما طلب بأدب جم , وتواضـــع نبي أن يعلمه الخضر مما علمه الله ، وهذا الجدل الذي قام بين موسى والخضر - عليهما السلام - لم يكن جدلاً عقيماً أو دفاعاً عن الهوى, أو في سبيل شهوة ذاتية أو منفعة شخصية, وإنما كان الجدال بين موسى والخضر عليهما السلام من أجل توخي الحقيقة, وكان هدفه الوصول إلى الحق والعدل, وهذا مما لا شك فيه أفضل أنواع الجدل.

رابعاً ـ البعد عن التعصب : البعد عن التعصب لوجهة نظر سابقة, والاستعداد للبحث عن الحق, والأخذ به عند ظهوره, وقد جاء في القرآن الكريم ما يؤيد هذه القاعدة, حيث أمر الله من يريد إيصال الحق إلى الآخرين, أن يقولوا لمخالفيهم : { **وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ** }(51)، وهذه الآية الكريمة تشير إلى ضرورة التخلي عن التعصب لأمر سابق, وكمال إعلان الرغبة في إنشاد الحق أنى كان.

خامساً ـ التقييد بالأقـــوال الطيبة : التقييد بالأقوال الطيبة المهذبة البعيدة عـــن كل طعن وتجريح, أو هزء أو سخرية أو احتقار لوجهة النظر التي يدعيها أو يدافع عنها من يجادله , وقد ورد في القـــرآن ما يدل على ذلك , منه قوله – تعالى- : { **وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** }(52). وقوله النبي- صلى الله عليه وسلم - : **" لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا بِالْفَاحِشِ، وَلَا بِالْبَذِيءِ"** (53)

سادساً ـ الدعـــوة إلى الوسطية : يبرز التجديد في الفكر الإسلامي وسطية الإسلام التي تدعو إلى الرحمة واليسر, والإبعاد عما يشق على الناس, وهذا ما عناه القرآن الكريم, وأراده في قوله: {**وَقُولُواْ لِلنّاسِ حُسْناً**} (54) وهو منهج من مناهجه, ودافع من دوافعه, وسمة من سماته. فالإسلام دين التوازن والاعتدال في التعامل مع الكون, والدين, والناس, والحياة, وذلك لأنه تعالى خالق الكون والناس, ومشرع الدين والأخلاق, ومدبر شؤون الحياة, وهو تعالى أعلم بما خلق, فجاء شرعه منسجماً مع خلقه, وجاءت رسالته محققة للسعادة في الحياة الدنيا والآخرة, دون إفراط أو تفريط, قال – تعالى- :{ **أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** } (55) ، ومن هنا وصف الله تعالى أمة الإسلام بقوله: { **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمّةً وَسَـــطاً** } (56)، والوسطية ، تعني : الاعتدال وعدم التفريط, وإعطاء جوانب الحياة حقها, ومن مظاهرها:

1- في مجال العقيدة: (التوسط بين النقل والعقل) ، فالإسلام يخاطب المخالفين بحوار هادف بالحكمة والموعظة الحسنة, ويرفض الغلو والتطرف.

2 - في مجال الإنسانية: تكريم الإنسان وتفضيله على ما خلق.

3 - في مجال الشريعة: (التوسط بن العبادة والعمل)
4 -- في مجال الأخلاق: (وسط بين المثالية والواعية)
5 -- الوسطية في الاقتصاد: (التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة)
ومنهج الوسطية هو أحد دعائم الذي يضمن للمسلمين وحدة الاتجاه, كما يضمن لهم صلاحية هذا المنهج لكل زمان ومكان, منهج جعل الحضارة الإسلامية متميزة بعناصرها الإيمانية والإنسانية على كل حضارات العالم.

سابعاً ـ نبذ العناد والمكابرة : العناد صفة لا تتفق مع العقل الصحيح, فالمعاندون يرون الحقيقة ويمعنون في الدعاوى على خلافها, فيُعد فعلهم حينئذ مكابرة, ذلك لمرض تأصيل في النفوس , وقد حارب الإسلام هذا المرض لما له من ضرر العقول البشرية, قال- تعالى- : { **يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ** } [57]. هذه بداية الجدل في الحق , وذلك هو العناد , لكن الحق لا بد ظاهر وواضح مهما طال الوقت , فإن بدالهم مائلاً , ولا مناص من الاعتراف به تحولوا إلى المكابرة , قال- تعالى - : { **وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ** } [58]، وإن أسوأ الأمور معرفة الحق ثم المكابرة عليه , يقول الله - تعالى - في بيان حال المكابرين: { **وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَرًا رَسُولاً** } [59] ، وحال مثل هذا العناد والمكابرة هي التي جاء بها الإسلام, وخاصة العقل العربي منها.

المبحث الرابع ـ الحوار والشباب:

إنّ الصراعات التي تمت في المجتمع الإسلامي , والفرق التي شوهت بأفكارها سماحة الحق , تعود أسبابها إلى الانحراف عن سبيل الحق والسير وراء الأفكار المستوردة , والفلسفة العقيمة , وما نلاقيه اليوم من قلق واضطراب ـ لاسيما عند الشباب ـ وما يعانيه عصرنا من متاعب ومشاكل, مرده إلى البون الشاسع بين واقعنا وهدي القرآن الكريم, وسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ومن الملاحظ اليوم أن معظم الذين يتصدون للحوار من العناصر الفتية الشابة , وهم يركّزون في حوارهم وجدالهم على البعد الديني والعقائدي , وهذا الحوار في التراث

الديني الإسلامي ربما اتخذ صوراً وجدلاً ينحى بصاحبه نحو التطرف الفكري والديني , والتعصب لرأي معين دون غيره من الآراء الآخرين , ويبعد هذا الرأي في هذه الحالة عن الاعتدال , بل المغالاة في التشبث بهذا الرأي, والإصرار عليه, والتمسك والأفكار والمعتقدات الدينية حتى ولو كانت خاطئة , أو نتيجة عدم فهم, أو وعي حقيقي بالمضمون الروحي والاجتماعي لتلك المعتقدات الدينية , متناسين قول الإمام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: " لا تكن عبد غيرك, وقد جعلك الله حراً"[60] ، وليس القصد من العبودية في هذا القول أن تُباع وتشتري بالمال مثل السلعة فحسب , بل ذلك يشمل استعبادك لآراء الغير والانصياع لها بلا روية ولا تمحيص، وفيما يلي أهم نقاط هذا الموضوع:

أولاً ـ الخصائص الانفعالية والعقلية عند الشباب : وهنا يبرز سـؤال : لماذا التطرف الفكري والديني, والتعصب لرأي معين, يكثر عند فئة الشباب وبالذات عند التحاور معهم؟

وفي محاولة للإجابة عن هذا السؤال, يمكن القول بأن الشاب بطبيعته يبحث عن كل ما هو غريب وغير مألوف, لأنه يثيره ويجذبه ويستهويه, ويجعله يشعر أنه غير الناس, ومختلف عنهم ومميز عليهم, وأنه يعرف ما لا يعرفه الناس, وأن معلومات التي لديه لا يتطرق إليها أي شك, وأن معلومات الآخرين يتطرق إليها الشك وعدم الدقة.

ومما يلاحظ عن بعض الشباب عند التحاور معهم ولاسيما في الأمـور الدينية فتجده متشدداً مع نفسه ومع الناس, ثم يتجاوز بعد ذلك في إصدار أحكام قاطعة بالإدانة على من لا يتابعه في مسيرته أو دعوته, وقد يتجاوز ذلك إلى اتخاذ موقف ثابت من المجتمع ومؤسساته وحكومته, ويبدأ هذا الموقف عادة بالعزلة والمقاطعة, المبني على إصدار حكم فردي على ذلك المجتمع (بالردة) أو (الكفر) ثم يتحول هذا الموقف الانعزالي عند البعض إلى موقف (عدواني) يرى معه المتطرف أن هدم المجتمع ومؤسساته هو نوع من التقرب إلى الله, وجهاد في سبيله, لأن المجتمع ـ في نظر المتطرف ـ هو مجتمع جاهل منحرف بعيد عن الإسلام.

ومن الأهمية أن نتعرف وبإيجاز على الخصائص الانفعالية , والعقلية للمراهق ثم الشباب , والتي تهمنا في هذا البحث دون سواها من الخصائص الأخرى كالخصائص: الجسمية , والاجتماعية... الخ.[61] ، ومما لا شك فيه أن الإنسـان يمرّ منذ مولده حتى وفاته بمراحل عديدة , وتختلف كل مرحلة من تلك المراحل من النواحي : النفسية ,

والعضوية, والعصبية, كما تختلف درجة تأثر الإنسان بالبيئة المحيطة به من ناحية أخـــرى , كل هذه التغيرات التي توافـــق كل مرحلة ينعكس تأثيرها على سلوك الفـــرد.

وبناء عليه فقد حدد العلماء المراحل التي يمر بها الفرد في نموه خلال مراحل العمرية المختلفة إلى:

1- مراحل الطفولة.

2- مرحلة المراهقة أو الحداثة (طور ما قبل البلوغ, طور ما بعد البلوغ)

3- مرحلة النضج (طور الشباب)

4- مرحلة الشيخوخة.

إن معرفة هذه الخصائص وإدراك السمات المختلفة في مظاهر وأبعاد ومحددات شخصية المراهق والشباب, تعنينا في كيفية التحاور مع الشباب والوصول معهم إلى النتائج إيجابية ووسطية.

وفيما يلي بيان للخصائص: الانفعالية والعقلية عند المراهق والشباب.

1 ـ الخصائص الانفعاليـــــــــة : " وتتمثل بعض الخصائص الانفعالية للمراهق في مظاهر الحساسية الشديدة, اليأس والقنوط والكآبة, التمرد والعصيان, كثرة أحلام اليقظة, الصراع النفسي, الوعي الديني, القلق وعدم الاستقرار" (62).

وتجدر الإشارة إلى أن الانفعال الديني يتغير من الإيمان المنطلق بكل ما يقال للفرد في طفولته إلى اليقظة الدينية التي تهديه في مراهقته إلى المفاهيم الدينية الحقيقية لكل ما في الكون من خير وحق وجمال, " وإذا كان الفرد في شبابه يمضي في معترك الحياة والصراع من أجل كسب الرزق , وتحقيق المكانة في المجتمع, فإنه يراجع موقفه من جديد ليحدد موقفه العقلي والقبلي من سلوكه الديني, وهكذا يواءم بين شخصيته في تطورها من المراهقة إلى الرشد, وبين مطالب بيئته، ونجد أن الفرد في المرحلة الرشـــد إما أن يكون قد جاوز مرحلة الشك الديني إلى اليقين , ويكون بذلك ارتضى لنفسه فلسفة محددة للحياة تقوم على فكرته الدينية, وتتناسب مع أنماط حياته ومطالب عصره, ويظل يعيش في إطار هذه الفلسفة دون تغيير يذكر طول حياته الباقية, أو يصل إلى الشك والإنكار والرفض فيما بينه وبين نفسه, أو فيما بينه وبين الناس للمفاهيم الدينية كناحية عقلية لا تساعد على مواجهة مشكلاته اليومية(63)

2 ـ الخصائص العقلية : " وتتميز مرحلة التكوين العقلي للمراهق بمجموعة من الخصائص تتمثل في نمو الذكاء العام بسرعة, ظهور القدرات الخاصة بشكل واضح, نمو الخيال الخصيب مما يعنيه على التفكير المجرد والدراسات النظرية والعلمية والتجائه إلى الأحلام اليقظة كوسيلة للتنفيس وإشباع الرغبات, الميل إلى التفكير الديني ... وقيم لنفسه مبادئ وقيم يلتزم بها في تفكيره وحديثه, حيث الجدل والمناقشة فيريد أن يكون له موقف من الحياة والمجتمع, ويظل مخلصاً لفلسفته ولإقرانه الذين كانوا على شاكلته هذه الميول العقلية, ظهور الفروق الفردية العقلية بشكل واضح (64).

ويتضح مما سبق إلى أي حد تعـــد هذه المرحلة من أخطر المراحل التي يمر بها الإنسان في حياته , وللأسف نجد أن نشأة الغالبية من أولادنا من ناحية, وطبيعة معرفتنا وثقافتنا من الناحية الثانية , حيث لم توضح كيفية التعامل مع تلك المرحلة الخطيرة التي تعد منعطفاً في حياة الإنسان، ويجب التنويه إلى أن الدخول إلى دائرة التطرف والإرهاب , وإدمان المخدرات كان هروباً من الشباب ومن الصمود أمام المشاكل التي واجهتهم , وعجزوا عن حلها, وهنا وجهت المخططات الدولية وأعوانها في الداخل سهامها نحو المراهقين ثم الشباب , فجذبت بعضهم نحو دائرة الإدمان, وجذبت آخـــرين لدائرة الإدمان , وأدخلته في دائرة التطرف والإرهاب بالتضليل والتزييف في حقائق التعاليم الدينية الصحيحة , وبعد أن رسخت فيه المظاهر الآتية :

1 -التعصب للرأي تعصباً لا يعترف للآخرين برأي, وعلى يشير إلى جمود المتعصب على فهم ما لا يسمح له برؤية مقاصد الشرع, ولا ظروف العصر, ولا يسمح لنفسه للحوار والجدل مع الآخرين.

2 - التشدد في القيام بالواجبات الدينية, ومحاسبة الناس على النوافل والسنن كأنها فرائض, والاهتمام بالجزئيات والفروع, والحكم على إهمالها بالكفر والإلحاد.

3 ـ سوء الظن بالآخرين, والنظر إليهم نظرة تشاؤمية, لا ترى أعملهم الحسنة, وتضخم من سيئاتهم.

4 -- يبلغ هذا التطرف مداه حين يسقط المتطرف عصمة الآخرين, ويستبيح دمائهم وأموالهم, وهو بالنسبة له متهمون بالخروج عن الإسلام.

وهنا يتدخل المجتمع لوضع حد لهذا التطرف, ومصادرة أي نشاط يصل بصاحبه إلى الاعتداء على حقوق الآخرين وحرياتهم.

ثانياً ـ القـــدّوة الصـــالحة: إن معظم الشباب يـــرى في المحاور مثلاً سامياً وقدوة حسنة, وينظر إليه باهتمام كبير, واحترام وفير, وينزله مكانة عالية في نفسه,

وهو دائماً يحاكيه ويقتدي به, وينفعل ويتأثر بشخصيته. وإن فكرة وجود القدوة تقوم على أساس منطوقة تأثير الطباع في الطباع, " وحاجة الناس إلى القدوة النابعة من غريزة تمكن في نفوس البشر أجمع هي التقليد " (65) ، وإن لكل تقليد هدفاً , وقد يكون هذا الهدف معروفاً لدى المقلد , وقد لا يكون معروفاً , فعدم وضوح الهدف أو معرفته تكون لمجرد المحاكاة والتقليد فقط , وأما وضوحه فقد يرتقي معه وعي التقليد لدى المقلد, حتى يصبح عملية فكرية يمزج فيها بين الوعي والانتماء والمحاكاة والاعتزاز, وعنها يرتقي بهذا التقليد إلى مفهوم راق في الإسلام (الإتباع) , وأرقي هذا الإتباع ما كان على بصيرة, لقوله- تعالى - : { **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي** } (66)، فإذا ما أدرك المحاور هذا وعرفه كان لزاماً عليه أن يراعي وجود هذه الغريزة لدى محاوريه, فيجتهد بعد ذلك أن لا يعمل ولا يتصرف إلا على وحي مما كان عليه قدوته وقدوة المسلمين نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - , فيكون قد استثمر هذه الفطرة فيما يعود على الجميع بالنفع والفائدة، ففي الإسلام, اهتمام بالغ بالقدوة الحسنة, والله عز وجل جعل أشد الغضب لمن لا يتوافق قوله وتعليمه مع علمه, قال - تعالى - : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ** } (67)، ومن هنا يتبين الدور الكبير للمحاور كونه قدرة صالحة, يقود شباب الإسلام نحو الأخلاق الحميدة, يأمرهم بالفضائل, وهو أول مطبق لها, وينهاهم عن المنكر, وهو أول متنه عنه, ويوجههم نحو الفكر السليم البعيد عن التعصب والتطرف, وعن تضييع فروض الدين, الحكمة والموعظة الحسنة.

ثالثاً ـ الحوار بالحسنى وعدم ممارسة القمع الجسدي والنفســي : إن افتقار لغة الحوار والتفاهم ـ في الغالب ـ على مستوى الدولة, والأسرة, ومؤسسات التعليم والوعظ والإرشاد, ووسائل الإعلام المختلفة, ساعد على زيادة الهوة وعدم الثقة بين الشباب وتلك المؤسسات , وفيما يلي بيان ذلك بإيجاز:

1 - الـــدول : إن المواجهة الأمنية مهما حققت من النجاح فإنها لا تستطيع أن تصل إلى عقول ووجدان الشباب, ولا تملك أدوات تغيير المفاهيم ودوافع السلوك, ولكن الذي يملك ذلك لغة الحوار الوسطى الهادي؛ لأن من الخطأ أن نتحدث عن جموع الشباب وكأنهم كتلة واحدة صماء يجمعها التجانس الفكري, والحق أن التجمعات الشبابية المتعددة يفرق بينها الانتماءات الفكرية والتي غالباً ما يكون متعارضة, فمنها المعتدل, ومنها المتطرف في الجانب الديني, وهناك فئات من الشباب الكادح والذي يعاني من

المشكلات الاجتماعية, والتي من أهمها أزمة الإسكان والزواج والبطالة, فالحوار مع هذه المجتمعات الشبابية قد يكشف الكثير عن الأفكار التي تبدو غامضة, ولهذا فإن الدعوة للحوار لها فائدة كبرى في إخـــراج هؤلاء الشباب ذوي النوايا الطيبة من دائرة التفكير الضيق المتجمد المتطرفة وإلى رحابة الفكر العقلي وسماحته, فهو يفتح أمامهم آفاقاً جديدة لم يكن مسموحاً لهم داخل جماعاتهم باقتراب منها ويعينهم على استخدام ملكة العقل.

كل هذا يساعد على تجنب التعميم دون إدراك الفروق الجسيمة بين فئات الشباب, واختلافاتهم الأيديولوجية.

2 - الأســـــــــرة : مـــن الأمـــور المسلم بها أن الاتجاهات الاجتماعيـــة تتكوّن في جو الأســـرة , خاصة في عملية التنشئة الاجتماعية , فالتسامح , والضبط, والمناقشة , والصراع , والتماثل, والتعاون, كلها أمور يتعلمها الطفل عندما يواجه المجتمع متمثلاً في أسرته وأقاربه , وتختلف درجة وشدة هذه العمليات من أســـرة لأخرى , وبين بيئة لأخرى , ومن ثقافة لأخرى، ويـرى بعض علماء الاجتماع أن كثير من الاتجاهات المرتبطة بظاهرة العنف في المجتمع قد تبعث أساساً من طريق التربية في الأســـرة, فقد تتخذ قرارات من قبل الأب أو الأم أو الأخ الأكبر أو من له نفوذ أكبر في الأسرة, وتكـــون هذه القـــرارات في صورة حاسمة وفاصلة , دون تحكيم العقل والشرع , والمصلحة العامة للجميع , والمجتمع في النهاية, وهنا يفقد الشباب لغة الحوار والتفاهم بالعقل والمنطق, والمصلحة العامة , وبناء عليه تكون التربية السليمة للشباب مفقودة داخل الأسرة وعلى صعيد المجتمع ككل, وبالتالي يسهل استقطاب جانب منه وسهولة إخضاعه والتأثير عليه , وإملاء القرارات وما عليه إلا تنفيذها دون تحكيم للعقل والأهداف العامة والمجتمع.

3 - التعليـــــم : من واجب المؤسسات التعليمية تزويد تلاميذها وطلابها بمجموعة من الأفكار والمعاني التي تعنيهم على التفكير في الشؤون المهنية والمدنية والاجتماعية والدينية, ويجب أن تقوم هذه الأفكار والمعاني على أساس متين من الخبرات المباشرة التي يزود المنهج بها التلاميذ والطلاب, وهذا يتطلب أن يكون أسلوب الحوار والمناقشة هو العامل الأساسي في هذه العملية التعليمية . وهذا يؤدي إلى تكوين اتجاهات سليمة مثل: التسامح الديني, واحترام حرية الرأي, واحترام حقوق الآخرين, والتعاون الاجتماعي ... الخ ؛ لكن من الملاحظ أن مناهجنا الدراسية المعتمدة في كثير من مراحل التعليم الابتدائي والإعدادي تعتمد علي سياسة الحفظ ، والافتقار لحلقات النقاش

والحـــوار حول موضوعات معينة التي ترغب التلاميذ في روح البحث وراء الحقيقة واستيعابها, وقد تمتد سياسة الحفظ في بعض المواد لتشمل عدة مراحل متقدمة في التعليم.

وإن أهم ما تنادي به التربية الإسلامية هو اقتراب الدّين بالدنيا في الفكر والسلوك والأخلاق , ذلك لأن إهمال الجانب الديني في العملية التربوية إنما يعكس ظلمة القلب , ومن ثم إتباع الهوى وغلبة الشهوات والأنانية , وهو الأمر الذي الإنسان إلى الضلال المبين, ولا يمكن أن تأتي ذلك إلا بالحوار الرشـــيد , والإقناع والإيمان, والبعد عن طرق التلقين المتبعة في مؤسساتنا التعليمية ، ويجب الاستفادة من المكتبات المدرسية أثناء الدراســـة , وتدعيم الندوات والمحاضرات الثقافية , من خـــلالها عن طريق المحاضرين من مختلف التخصصات العلمية والفكرية , وفتـــح المجال أمام الطلاب للحوار والمناقشة ولاستيعاب.

4 ـ الوعـــظ والإرشـــاد : الوعـــظ والإرشاد وسيلة مهمة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى, ولا يُستغنى عنها بحال, ولا يجوز التهوين من تأثيرها على الكثير من الناس, ولاسيما إذا قام بها ذو قلب حي, وعقل نير, فإن الله يهدي به الكثير من الناس ، وكان الإرشاد جزءاً من مهمة الأنبياء والمرسلين الذين بعثهم الله مبشرين ومنذرين .

وعليه يجب التذكير في خطب الوعظ والإرشاد على موضوع الحوار والمناقشة والجدل وأهمية في محيط الأسرة , والمدرسة, والعمل, وكل أماكن الحياة , والجدل وسيلة من الوسائل التي تستخدم لنشر الأفكار والإقناع بها, وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً.

5 ـ وسائل الإعلام والثقافة : من المعروف أن الإعلام بوسائله المختلفة من أجهزة مرئية ومسموعة, وكتب وصحف ومجلات... الخ, يستطيع يشكل لجاد إيجاد رأي عام مستنير, يفرق بين الصواب والخطأ, وبين الهداية والضلالة, ويجب أن تقدم الحقائق بصدق وبواقعية, دون اختلاف واضح وتضارب في البيانات بين مختلف الوسائل الإعلامية. وفيما يلي بعض التصورات بصدد الدور المطلوب من الإعلام ومراكز الثقافة فيما يتعلق بالحوار والمناقشة والجدل :

أ ـ العمل على توسيع دائرة البرامج الثقافية والعمل على عقد لقاءات موسعة يدور فيها الحوار والمناقشة بين رجال الفكر والأدب, وشباب الأدباء والعلميين حتى يحدث تواصل فكري وعلمي بين الأجيال المختلفة.

ب ـ الاهتمام بالبرامج الدينية التي تبرز التعاليم الدينية بوضوح وببساطة, دون تشدد أو تطرف أو غلو, وأن تكون هذه البرامج مفتوحة يدور فيها الحوار والجدل بين المحاور ومن يرغب من المستمعين أو المشاهدين, ويكون هدف الجميع العمل على توضيح كل الأمور ببساطة وإقناع وفهم واضح.

ج ـ الاهتمام بالمراكز الثقافية, ونشر في المدن والقرى, وتشجيع تردد الشباب على تلك المراكز, بغية إظهار إبداعاتهم الفكرية, والأدبية, والفنية, والتركيز على الحوار والنقاش العلمي والثقافي والديني بين المتخصصين في هذه المجالات والشباب, وهذا يساعد على الإحساس بالثقافة بالنفس عند الشباب, مما يساعدهم على إظهار إبداعاتهم وتطويرها وتنميتها.

النتائـــــــــج :

يمكن أن نجمل النتائج في النقاط الآتية :

1ـــ الحوار يقوم على اتجاهين الأول أدبي فكري يتمثل في التواصل عن طريق الكلام أو الاشـــارة أو الحركات ، وما يطلق عليه التفاعل بين طرف أو آخر ، والآخر ما يتجسد في ثمرة الحوار الأدبي والفكر مثل إظهار للحق أو رد للباطل أو دفع للشبهات ...ونحوه ، وهو أعم من الجدل الذي يعتبر أحد أدوات الحوار .

2ـــــ للجدل نوعان الأول محمود الذي نصـــل منه إلى الحقيقة ،و الآخر مذموم الذي يتحقق به الباطل .

3ـــ حث القرآن الكريم و السنة النبوية على العمل بالحوار لما تتحقق به من مصالح عامة تنتفع به الأمة خاصة في دعم الاستقرار السياسي و الامني ودعم المصالح بين مكونات المجتمع ، والحث عليه في طلب العلم ، ونهي عن الجدل المذموم الذي يعم به الباطل .

3ـــ هنالك قواعد عامة ينبغي الالتزام بها في المجادلة عند فتح باب الحوار والمناقشة والجدل وصولاً إلى الإقناع في كل إيناس ورضاء

4ـ من أهم قواعد الحوار في الشريعة الإسلامية تقوم على نبذ أفكار التطرف والجدل الذي يقود إلى التطرف الفكري والديني والتعصب المذموم .

5ـــ يجب عن الشباب التوجه نحو الاعتدال , الابتعاد عن المغالاة في التشبث بهذا الرأي , والإصـــرار عليه , والتمســـك بالمعتقدات الدينية التي تقوم على الوســـيطة والاعتدال .

وأما ثمرة الحوار في المجمل : فإن الحوار هو صـــمام الأمان الذي يقود الأمم إلى بر الأمان والاستقرار ، والمدخل الأول نحو المصالحة العامة بين مكونات الأمة ، فلا صلاح اجتماعي ولا سياسي واقتصادي من دون الحوار .

الهوامـــــــــــــش :

1- أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان حال الإيمان ، حديث (61) 79/1.
[2]- لسان العرب, ابن منظور: 750/1, دار لسان العرب, بيروت.
[3] - سورة الكهف ، الآية 37.
[4]- سورة هود الآيتان 118-119.
[5]- الحوار القرآني حسين حماد, مجلة المعارج, المجلد الأول, ص: 36, بيروت.
[6]- معالم في منهج الدعوة، ابن حميد، صالح بن عبد الله، (1999م)، دار الأندلس الخضراء، جدّة، ص212.
[7]- القاموس المحيط ، الفيروز آبادي, مادة: (ج .د .ل).
[8]- سورة الكهف الآية 54.
[9]- مفردات غريب القرآن الأصفهاني 117/11.
10 - لسان العرب ابن منظور 105/11.
11- المصباح المنير للفيومي ، ص : 85 مادة :(ج.د.ل).
12- تفسير مفتاح الغيب ، فخر الدين الرازي ، 252/2.
13 - التعريفات للجرجاني ، ص: 50.
14 - الموسوعة الفلسفية المختصرة ص: 124.
15- سورة الأعراف الآية 13-18.
16- سورة النساء ، الآية 87.
17- سورة النساء الآية 28.
18- سورة غافر الآية 5.
19- سورة غافر الآية (40).
20- سورة الكهف ، الآيات 34-37.
21- سورة الكهف الآيتان 41-42.
22- سورة آل عمران ، الآية 185.
23- سورة الكهف ،الآية 54.
24- سورة الحج ،الآية 3.
25- سورة غافر ،الآية 69.
26- سورة البقرة ،الآية 197.
27- سورة النحل الآية 125.
28 - جامع الأحكام القرطبي ، 200/10.
29 - سورة النحل الآية 125.
30 - تفسير الخازن 107/3.
31 - الفتوحات الإلهية بتفسير الجلالين, الشافعي الصغير, الجمل, ص: 606.
32 -سورة البقرة ،الآية 197.

33- زاد الميسر ابن الجوزي 605/4..
34 - استخراج الجدل, ابن الجوزي, ص 53, ط:1, 1992, مؤسسة الريان, بيروت.
35- سورة العنكبوت ،الآية 46.
36 - سورة النساء الآية 148.
37- سورة المجادلة الآية 1.
38 - سورة المجادلة الآيتان 3-4.
39- سورة النحل ،الآية 125.
40- سورة غافر ،الآية 5.
41- هي : معناه الشك, والجدل العقيم الذي لا ينتفع به.
42- الجامع الصغير السيوطي 5/1.
43- سورة مريم الآية 97.
44- أخرجه الترمذي في سننه ، المقدمة 50/1.
45 - سورة الزخرف ، الآية 58.
46 - الحجة في القراءات السبع للفارس ،258/1.
47- سورة النساء الآية 107.
48- فتح الباري ، ابن حجر ، 225/1.
49- إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة, ابن القيم الجوزية, دراسة وتحقيق: د. أيمن الشوا, ص: 52.
50 سورة الكهف ،الآية 82.
51 - سورة سبأ ،الآية 24.
52- سورة النحل ، الآية 125.
53 - أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في اللعنة ،حديث رقم(1977)418/3.
54- سورة البقرة، الآية 83.
55- سورة الأنعام ،الآية 103.
56- سورة البقرة ،الآية 143.
57- سورة الأنفال ،الآية 6.
58- سورة ،فصلت الآية 5.
59- سورة الإسراء ، الآية 93.
60- إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة وتصحيحها وبيان العلل المؤثرة, ابن القيم الجوزية, تحقيق: د. أيمن الشوا, ص: 43.
61- من أراد التوسع في معرفة هذه الخصائص عليه مراجعة الكتب الآتية: الحياة الدينية وأثرها على المجتمع, د. سليم حسن, مكتبة النهضة, مصر. وكتاب: علم النفس التكويني, د. عبد الحميد الهاشمي, دار المجتمع, جدة ،و المقيم والتطرف الديني, د. محمد بيومي, دار المعرفة, مصر.
62- علم النفس التكويني. د. عبد الحميد الهاشمي, ص: 192.
63 - نفس المصدر السابق ، ص: 430.
64- نفس المصدر السابق (ص: 193.).
65- أصول التربية الإسلامية وأساليبها, د. سليم حسن, ص: 229
66- سورة يوسف ،الآية 108.
67- سورة الصف الآيتان 2-3.